هذا الكتاب

كنت نهبا موزعا بين الاقدام والاحجام ، حينما دفعت بكتابي « **أطفال تحت الطلب** » الى المطبعة ، لأن الموضوع الذي تناوله دقيق وخطير ، يحتاج الى كثير من المرونة ، لتتم تأديته في أسلوب يجمع بين الامانة العلمية ، ومراعاة العادات المنتشرة والتقاليد السائدة في مجتمعنا ! ذلك لان موضوع الجنس مايزال محوطا بيننا بهالة من التكتم والتحرج على الرغم من أهميته البالغة . فلما تغلب الاقدام على الاحجام ، وصدر الكتاب ، شجعني صدى الاستحسان الذي قوبل به ـ استحسان أدى الى اعادة طبعه أربع مرات ، خلال أشهر معدودات ـ على استكمال هذه السلسلة بمختلف الموضوعات التي اعتقد انها تقدم للقراء العرب ثقافة جنسية صحيحة،أساسها العلم وهدفها المنفعة العامة.

ولقد يغضب المتزمتين ان يكون في كتابي الثاني هذا ما لم يألفوه

من صريح القول وواضح الارشاد ، ولكنهم سيحورون الى الرضا ، اذا تعمقوا المشكلة بفكر ثاقب وصدر رحب ، فهي مشكلة الجيل كله وعليها يبنى كثير من الفوائد التربوية ، ومنها تستوحى مناسك الاخلاق . ولأن نكون صريحين في هذا الموضوع مع فتياتنا وفتياننا خير من ان نفصم عرى التوجيه السليم القويم بيننا وبينهم ، ونتركهم يستقون أسرار الحياة الجنسية من رفاق السوء واخوان الشر ، فيتناقلونها على صورة خاطئة ، تتعقد بها نفوسهم ، ويصابون من جرائها بانحرافات شاذة يتغلغل تأثيرها فيأعماقهم ، ويجنح بهم عن سواء السبيل ٠

ولقد تأكد لي هذا الاعتقاد مما يردني كل يوم من رسائل القراء والقارئات ، وفي كل منها دليل ساطع وبرهان قاطع على حاجة الجيل الى مصادر وثقى ، ترفع النقاب وتكشف الستار ، وتزيل الغشاوة عن أعين أفراده فتوضح لهم ما خفي عليهم من الامور الجنسية ٠٠ فهذه رسالة الفتاة (ع ٠٠٠) من حماه ، تريق الدمع بين سطورها ، وهي تعيش في كابوس مخيف ، لانها ـ كما تقول ـ فتاة في العشرين من عمرها ، ومن أسرة محترمة معروفة ، نالت شهادة الدراسة الثانوية ، وهي جميلة بشهادة من حولها ، وأهل لأن تكون ربة بيت ممتازة ٠ صور لها جهلها بالفروق الجنسية بين الرجل والمرأة أن تكشف هذا

السر بنفسها ، فأرادت ان تضع اصبعها على موضع السر ، وان تدخل قلم الحبر (باركر) لسبر غوره .. فكانت النتيجة الطبيعية لهذا الجهل ، والحمق انها فقدت أعز ما تملكه فتاة ، وفقدت أيضا ارادتها فلم تستطع الاقلاع عن عادة سيئة تملكتها بالممارسة .

وهذه (س ...) فتاة من دمشق ، تقول ما قالته الاولى وتعيد الخطيئة ذاتها بشكل آخر ، فلنستمع الى قصتها تسردها بقلمها :

ـ أنا من أسرة محافظة جدا توشح كل أمر بوشاح الاخلاق والآداب العامة وبنتيجة ذلك ارتكبت مع نفسي جرما ، مع انني نقية طاهرة .. ان حرص الاهلين على عدم افهام أولادهم شيئا عن الامور الجنسية بحجة التمسك بأهداب الفضيلة هو الذي يدفع بأبنائهم وبناتهم الى ارتكاب الحماقات ما صغر منها وما كبر .. كنت وحيدة عند البلوغ وهالتني رؤية الدم (دم الحيض) فعمدت الى ادخال قطعة من القطن في فوهة لم أعرف ماهي ، ولا اين تؤدي ، فخففت بذلك عن نفسي بعض غلاظة الايام الحمر .. ومن هنا بدأت المأساة . وعندما اطلعت خلسة على كتاب « **أطفال تحت الطلب** » ووجدت الصور فيه واضحة ، سالت دموعي وعرفت مبلغ خطئي ، وأدركت مدى جنايتي .

وتزيد على ذلك فتقول : ان مأساتها تزين لها الانتحار ، وتحبب لها مغادرة الحياة بأي وسيلة ، لانها مقدمة على الزواج وهي تخشى الفضيحة وتخاف العار ، ولو انها ارتكبت اثما باتصال مشبوه ، لواجهت مصيرها بجرأة وشجاعة ما دامت تحمل وزر هذا المصير ،

ولكنها بريئة لم يمسسها بشر ، وانما جنت على نفسها بفضولها الناجم عن جهلها للحقيقة الجنسية ، وعن تمسك الاهل بالخجل المصطنع الذي يمنعهم من ايضاح هذه الحقائق ، وتصدهم عن رفع تلك الحجب التي أسدلها الجهل بينهم وبين من جنوا عليهم من أبنائهم وبناتهم ·· وهي تفضل الانتحار اليوم على ان يكون مصيرها مصير رفيقة لها في مثل سنها ومن أسرة محافظة كأسرتها ، غدا حديثها على كل شفة ولسان ، بعد ان افتضح أمرها ليلة زفافها ، ولم تجدها دموعها ، ولم تدفع ايمانها المغلظة الاهل الى تصديقها ·· لقد كانت مثلها جاهلة تضع القطن في « الفوهة » لتحول دون سيلان الدم ·

وليس هذا كل شيء ، فان بريدي ما يزال يحمل العشرات من مثل هذه الرسائل كل يوم اذا اختلفت أشكالها ، وتباينت جملها ، فليس في موضوعها اختلاف ، ولا في جوهرها تباين ·

فهي اذن خطر ، ولا يرد الخطر ان نسدل بيننا وبينه حجابا كثيفا يحجب عنا أنوار الحقيقة ، ويمنعنا من روّية الاشياء سافرة كما هي ، بل يتحتم علينا ان نواجهه بشجاعة ، لا سيما وان الحياة الاجتماعية قد لقيت في السنوات الاخيرة تغيرا عميقا ، فقد انتشر التعليم ، وشاعت عادة القراءة ، وأصبحت السينما كثيرة الرواد ·

ولا ينكر أحد هذا السيل من الافـــلام التي تفصل للكبـار والصغار دقائق اللقاء بين الرجل والمرأة ، وتعمل على اثارة الغرائز بـالاصوات والالوان والحركات ، فهل يطمح الاباء ان يعود المـارد الى القمقم بعـد ان صار الى فضاء رحب ، وتنسم ريح الحرية !؟

ما أشبهنا في حياتنا الاجتماعية التي نحياها بنعامة تدفن رأسها في الرمال وتزعم ان الصياد لا يراها ، فمن حق انسانيتنا علينا ، ان نتحرر من عقلية النعام وأن نجاري مواكب العلم والتربية الحديثـــة التي تقضي بتثقيف الجيل ثقافة جنسية صريحة ، واضحـة سليمـة قويمة ، وليس في هذا خروج على قيم الديـن ، ولا تمرد على قواعد الاخلاق • فقد كان النبي (صلعم) يعلم الصحابة كيف يأتون أهليهم ، وماذا يقولون عند الجماع • وقد روي ان « أبي بن كعب » سأل رسول الله في ملأ من الناس ، قال : يا رسول الله ، اذا جامع الرجـل المرأة فلم ينزل ؟ قـال : يغسل مـا مس المرأة منه ، ثـم يتوضأ ويصلي ، أخرجه البخاري ومسلم ، وصحيحاهما أوثق مصادر الحديث •

وكذلك كان المسلمون يسألون الخلفاء الراشدين عن القضـــايا الجنسية فيجيبونهم علنا بصراحة • وروي الامام مالك ان رجلا سأل عمر بن الخطاب فقال له : كانت عندي وليدة أطؤها ، فعمدت امرأتي

فأرضعتها ، ثم قالت لي ، دونك فقد والله أرضعتها ، فقال عمر ، أرجعها وائت جاريتك انما الرضاع في الصغر ٠

فاذا كان هذا شأن أجدادنا الاولين ، فما بالنا لا نسترشد برشدهم ونهتدي بهديهم ولا نمشي على سنتهم ؟ ثم ما بالنا لا نلحق بركب الحضارة فنقتبس من الغربيين ما وجدوه ، اليوم ،صالحا لتثقيف أجيالهم ، بعد ان رأوا تفسخ أخلاق أفراد مجتمعهم وتدهورهم الى الحضيض ؟٠

لقد أتيح لي ما لم يتح لأي طبيب آخر ،اذ اطمأنت الي نفوس قلقة حائرة تتلمس في صراحتي وعلمي سبيل الخلاص ، فأمسكت بأقلامها وراحت تكتب الي مفصحة عن آلامها شاكية تعاستها ، فاطلعت على مآسي وأسرار هدت كيان كثير من العائلات ، وفككت أواصر عدد من الاسر ، فشردت أطفالا وباعدت بين أزواج، وكان مردها جملة الى الجهل بالامور الجنسية ٠ ولا يختص بهذا الجهل قطر دون آخر ، فكلنا في الهم شرق ، كما يقول أحمد شوقي ، اذ ما يزال البريد يحمل الي مآسي شباب من شمال افريقية ، وآنات شابات من العراق ، وشكايات آخرين في المملكة العربية السعودية ٠

واني لقانع بالطمأنينة والهناءة تغمران نفسي ، وانا اجلس الى

مكتبي معظم ليلي ، أهيء الكتب وأقرأ الرسائل ، فأجيب الملهوفين وأرد الحائرين الى سواء السبيل ...

واذا تساءلت يوما عما صنعته لهذا الوطن الذي نعمت بخيرات أرضه وتمتعت بنعم سمائه ، شعرت بالغبطة تنساب في حنايا أضلعي ، وأنا أسهم مع المسهمين وأعمل مع العاملين لتقدم هذه الامة وخيرها ، واخراج أفراد جيلها من الظلمات الى النور ...

obeikandl.com